مما يؤثر عن التابعي الجليل جُبير بن نُفير أنه كان يقول :

(لقد استقبلتُ الإسلامَ من أوله ، فلم أزل أن أرى في الناس صالحاً وطالحا) [1].

مقالة عابرة تتحدث عن ظاهرة مفهومة بداهة ، ولكن بساطتها تمنحها هيبة الحكمة ، إذ أن تطرفات العاملين أنستهم بداهتها وأذهلتهم عن عمل صحيح ينبغي أن يبتنى على حقيقتها ، فكان منهم المصدوم ، اليأس من الناس ، الذي هزته تجربة له مع طالح ، فقاس وعمّم بلا ضابط ، وكان منهم المتساهل ، الذي وفق الله تعالى له صالحاً يلقاه في أول محاولاته ، فهشّ وبشّ ، وراح يفرط في حسن الظن بالمقابل ، ويوزع جهده بددا .

كأن مفاهيم الطرفين تعكس بدعتين شابتا صفاء مجتمع السلف وتوسطهم في إنزال الناس منازلهم ، فإن اليائس السريع الاتهام يوجد له في مجازفات الخوارج مثيل ، إذ كانوا لا يرضون جمهور المسلمين ، ويبدون لهم قسوة . وأما أصحاب التساهل فيقاربون ما ذهب إليه المرجئة ، لما كانوا يكتفون بقول اللسان دلالة على الإيمان .

لهذا كان من الضروري أن يرى كل داعية مسلم ما رأى جبير

(1) كتاب العلل ومعرفة الرجال لأحمد بن حنبل 1 / 346 .

بن نفير ، ليعتدل فى أحكامه ، ويستقرب الإصلاح ، ويمضى فى طريق البشرى والتفاؤل والأمل ، مثلما يتوقع الحيصة والنكوص والجفاء ، فيشترط وبفحص .

إن قول جبير يراه الرائى من البديهيات ، لكنه فى الحقيقة ميزان فى العمل ، وتعليم ، منه ننطلق إلى تجميع الناس وتربيتهم فى غير ما تهور نعتدى به على إيمان الناس ، أو أن نسلبهم إياه وننطق بتكفير .

وقد ترى فى بعض المجتمعات وجود صنف ثالث مخلّط فيه من الصلاح شعبة ، ومن المداهنة والنفاق مثلها ، وتلك علامة سوء ، وليس فيها تقليص للنصف الطالح كما قد يتوهم البعض ، فإن وجود مثل هؤلاء يفتر الصراع والتمايز ، ويوهن المفاصلة الواجبة ، ووجود الشر المفصح عن هويته وطبعه أهون ، لما يؤدى إليه من جفلة الأخيار وتحفيز عوامل الجد فيهم .

إن مجتمع بغداد والعراق مثل واضح للانحيازين المتضادين : الصلاح والفساد ، والعراقيون يتحدثون بهذا ، ويظنون أنها من خواص مجتمعهم ، ولكن الإمام الغزالى كشف عن أصلها ، وبيّن أنها طبيعة قديمة فى المجتمع العراقى منذ أيام الدولة العباسية ، فأورد جواب بعض الحكماء وقد سئل عن أهل بغداد ، فقال الحكيم :

(زاهدهم زاهد ، وشريرهم شرير) (1) .

---

(1) إحياء علوم الدين 4 / 355 .

المداهن ومن فى المتصف قلّة ، ولذلك كانت الأيام بينهم دولا ، يتعاقبونها ، وهى كذلك اليوم .

وهكذا هى الأيام دول فى الأقطار الأخرى ، لا يصفو لصاحب شر حكمُه ، وإن ادّعى ، بل يزاح ، وله نهاية . كما لا يسهل على صاحب الخير أن يحكم ، بل تكدر عليه الفتن حُكمه ، فيلزمه بذل مضاعف .

إن هذه الظاهرة التى يشهد لها التاريخ تهيب اليوم بالداعية المسلم أن يأبى الخنوع لهذه الحكومات المستولية ، وأن يرفض المنطق القائل بإستتباب الأمر للفجرة ، بل يقاوم ، ويتقدم ، ويعمل ، ويأمل ، ويستيقن وصوله ، ويثق بجميل نصر الله .

لَهْوٌ يلف الناس ، ليس إلا ، استكانوا معه للفاجر .

وغفلة حرفتهم ، أقعدتهم عن إجلائه ، تعالج بالتذكرة والتربية .

ونداء العمل من وراء أسوار الحرص الدنيوى ، يتوجه إلى الداعية . . .

يا فطرة الصدق الصُرا
ح وقوة الحق القديم
وسجية الخير القُرا
ح السلسل العذب العميم

قـم وجـّه اللاهين بالـــذكرى إلـى النهج الـقويـم

فالمجـــد ليـــس يُنـــال بالـــ

عـوى وبالـــصـــوت الـرخيـــم

عـــبءُ الـــرســـالة ليـــس لهـــ

ـــواً ، إنـــه عـــبء جـــسيم

القـــول دون الـــفـــعل لا

يهـــدى الصـــراط المســـتقيم [1]

كلا ، لا يهدى مجرد القول .

وإن طبيعة العقيدة الإسلامية (لا تدع أحداً يتوارى) كما يقول السيد .

(إن الجاهلية من حوله ، وبقية من رواسبها فى نفسه وفى نفوس من حوله ، والمعركة مستمرة) [2] .

فلابد من نزول إلى الميدان وبذل مزيد جهد لتجميع أوسع .

لكن هذا التجميع يستلزم اليوم فنوناً ومهارة وابتكاراً فى الأساليب والقول ، تبعاً لتعقد المجتمع الحديث ، وإيغال الشبهات فى التأثير .

---

(1) للأميرى في مجلة (المسلمون) السنة الأولى / العدد التاسع .

(2) معالم في الطريق / 119 .

إنها فنون لا تنتهى الإضافة لها والتحوير فيها ، ولكن خطوطها الأساسية وأمثلتها النموذجية تنحصر فى عشر قواعد :

(**القاعدة الأولى**) : ضرورة تكميل الرصيد التربوى الواقعى الذى تتركه طبائع المجتمع فى الفرد .

فإن المدعو الذى نتجه لحيازة تأييده يعيش بتفاعل مع المجتمع وليس هو بالمنفصل عنه ، وهذا المجتمع يعكس عليه تأثيرات تربوية مختلفة ، توافق الإسلام وتخالفه ، فإذا وجدنا الانعكاسات الحسنة وافرة عنده كان من اللائق أن نكمل المقدار الباقى غير المتوفر ، دون أن نبدأ الطريق معه من أوله ، بل نربيه على ما ينقصه ، لئلا يهدر وقتنا ، أو يحصل عنده إشباع يقود إلى تطرف إذا زدنا الخصال المتوفرة لديه تأكيدا .

والملاحظ أن البيئة والمناخ قد يتولد منهما أيضاً تأثير على طبائع الناس وأخلاقهم الأساسية ، وإن كان هذا التأثير ثانويا ، والمظنون أن الأعراب لم يفتقدوا رقة أهل الحواضر ، ويكونوا أشد نفاقا إلا لعيشهم الجامد فى وحدة وتفرد بين الرمال الصامتة والصخور الملتهبة .

وضرب الأمثلة لنماذج من المجتمعات العربية يوضح انعكاسات المجتمع على الفرد ، فإنها مختلفة فى طبائعها السياسية ومدى قربها أو بعدها عن الإسلام ومتطلبات الدعوة .

* فالعنصر السودانى مثلاً يتوفر فيه الوعى التنظيمى ، ويفقه

ضرورة العمل الحزبى والانتماء الحركى ، ولا نرى فى السودان إلا قلة لا ينتمون إلى أحزاب أو تجمعات فكرية . وكذلك الحماسة وافرة ، ومثلها : الصلة بالمباحث الفكرية والنقاش فيها ، فبمجرد أن يكون الشاب فى السودان مع الحركة الإسلامية أو مع الحزب الشيوعى يندمج فى الشخصية الجماعية . ومن الانعكاسات الحسنة هناك أيضاً : توقير الشرع والامتناع عن الكبائر ، وكثرة المصلين ، وهى آثار باقية من أيام نفوذ المهدية أو الختمية .

إزاء هذه المحاسن توجد مشكلة عدم وضوح الولاء ، بحيث أن المرء هناك يجمع بين حمل الفكر الإسلامى والصلاة ، ثم الولاء للأحزاب الطائفية ، نتيجة تربية بيتية وقبلية ، فيكون مع حزب الأمة الذى هو الواجهة السياسية للأنصار أتباع المهدى ، أو لحزب الشعب واجهة طائفة الختمية أتباع الميرغنى ، وهذا ما يجعل عمل الدعوة فى السودان محتاجا للتركيز على تفهيم مسألة الولاء وأنها متممة للانتماء الفكرى ولتوقير أحكام الإسلام ، وإن العبادة وحدها لا تكفى . فالداعية إذا تكلم للمؤيد مادحا الإسلام : كان فى تكرار لفهم مستقر فى نفس هذا المؤيد . وإذا بيّن ضرورة العمل الجماعى : كان فى تكرار آخر ، لكنه إن أوضح معانى الولاء الإيمانى وأقنع صاحبه : تسلّمه عضواً جاهزاً .

* ونموذج الشاب المصرى فيه بعض الاختلاف ، فهو وافر الإيمان سليم الفطرة ، بفعل الآثار الحسنة للعمل القديم والجديد الذى أبدته وتبديه حركة الإخوان المسلمين ، ثم بفعل وعظ

الأزهريين والتربية العائلية ، ومن النادر أن نجد اتجاهات إلحادية فى المجتمع المصرى ، والحزب الشيوعى ضعيف ، ويستغل مسألة الفقر أكثر مما يستغل الفلسفة .

أما النقص اليوم ففى ناحيتين :

الناحية الأولى : نقص فى فقه العمل الجماعى والارتباط التنظيمى ، وتتوفر فى المنظمات الطلابية مرحلة أولية أو متوسطة من الجماعية ، ولكن يراد تطويرها وتكميلها ، إذ ما زال يغلب عليها طابع الحماسة البريئة ، ولو وُسِّعت الخلفية التنظيمية لهذا الزخم الإسلامى الشديد الذى يعم الجامعات المصرية لأدت إلى عمل حاسم .

والناحية الثانية : تتجلى فى أن هذا العمل التنظيمى يجب أن يستند إلى تراث العمل الإسلامى القديم فى مصر ، والمتمثل فى حركة الإخوان المسلمين ، إذ هناك رصيد من التجريب وافر ، ورصيد من المعنويات أوفر ، والمطلوب : تكميل الشوط من حيث انتهى الدعاة السابقون لا البداية من حيث بدأوا والاستقلال عنهم ، ولابد أن تتضح لدى جيل شباب الجامعات الحالى ضرورة انتمائه لقيادة حازت حصيلة نصف قرن من فقه العمل والتراث المعنوى ، وأنه لا يصح البعد عنها .

إن على الداعية المصرى أن يتجاوز مدح الإسلام ، وذكر ضرورة العبادة ، والإشادة بمحاسن الأنظمة الإسلامية ، فيذكر

هذه المعانى باختصار ، لوضوحها عند الشباب ، ويركز على ضررة الارتباط التنظيمى الملتزم ووراثة الاتجاه الإخوانى السابق والتبعية لقيادته الحالية .

* أما نموذج الشاب العراقى فتتوفر فيه خلال إيجابية وتنقصه أخرى ، إذ أنه يفهم ضرورة العمل الحركى فى جماعة منظمة ، ويدرك عدم جدوى التسيب ، وتدل على ذلك كثرة الأفكار الشائعة وسعة الانتماء الحزبى ، ويملك الشباب العراقى مقادير من الشجاعة والحماسة الذاتية والانخلاع عن السلبية ، حتى فى أجواء الإرهاب والسطوة ، ولكن حاجته كبيرة لتوضيح الناحية الفكرية وتصفيتها من الموازين القومية المتطرفة ، إذ يجد الداعية من يجمع أخلاق الإسلام والعروبة العلمانية ، ويجد الكردى الثائر الذى يقف خاشعاً إذا حان وقت الصلاة .

فوضوح الفكرة الإسلامية ، وتبيان الإسلام الكامل غير المنقوص ، هو المعنى الذى لا يزال ضامراً ، على عكس ما فى السودان ومصر ، وهذا هو سر التشدد فى الشروط عند دعاة العراق وسر التساهل فى السودان ، فإن طبيعة الحاجة تركت أثرها على فقه العمل ، ولم يفهم البعض ذلك ، فاستغرب كل منهما طريقة الآخر .

إن هناك عاطفة إسلامية ضئيلة عند الشاب العراقى ، ما لم يكن ملحداً ، والعمل فى العراق بحاجة إلى تنمية هذه العاطفة وتطويرها إلى فكرة وموازين ليحوز عناصر صالحة للعضوية ، وأما

الإحساس بضرورة العمل المنظم ، والتحلى بالشجاعة والإيجابية فإنها ما زالت حيّة فى النفوس .

* ويبدو فتى الخليج نموذجاً مغايراً ، فهو يحوز احتراماً للإسلام وافرا ، ولكنه يجهل المعنى التفصيلى للإسلام ، فهو لا يجادل فى أن الإسلام يجب أن يسود ، وأن التحدى لشىء من أمر الله تعالى كبيرة أو كفر ، لكنه لا يدرى هذه الأوامر كلها ، ويحتاج إلى تعرف على أنظمة الإسلام ومفردات الأحكام ، وفيه أيضاً سلبية مردها إلى عوامل عديدة ، أهمها المعيشة الطويلة قبل ظهور النفط لطبقة عمال البحر والغوص تحت سطوة طبقة المشايخ والتجار ، وبينهما تفاوت ، دونما طبقة وسطى ، فولد الاستضعاف يأساً مع توالى الأيام وعزوفاً عن المشاركة السياسية والفكرية ورثهما الأبناء ، ثم زاد البطر وترف ما بعد النفط هذه السلبية ، فصار الميل إلى الدعة والراحة والسكون وعدم المخاطرة ، والفقهاء ما قالوا بكراهة التنعم الكثير إلا من باب إقعاده عن النهضة الجهادية ، وإن النفس المترفة أبطأ فى إجابة داعى الجهاد ، على عكس النفس المتواضعة المخشوشنة .

إذاً : هناك حاجة فى الخليج إلى خلع الشاب المدعو عن ترفه ، وتعليمه الإيجابية ، وإشعاره بوجوب تأثيره فى هذا العالم بنوع تأثير إصلاحى ، وأن يقوم بدوره من خلال عمل جماعى .

* والفرد الفلسطينى طبعَته مشكلة فلسطين بطابع خاص ، فهو مازال يئن من المتاعب اليومية التى تضعها الأجهزة الرسمية فى

جميع الدول ، وأصيب بخيبة أمل لخيانات الحكام إزاء القضية ، وفى شك من كثير من قياداته الفلسطينية المتناحرة ، فهو يائس ، رافض ، قلق ، ميال إلى العنف ، وتَركَه طول تنفيذه لسياسة الرضى بأخف الضررين فى حالة من التساهل الفكرى والعقائدى إزاء من ينصره فى قضاياه .

فالداعية محتاج إلى جولة طويلة يسيرها مع المدعو الفلسطينى يعلمه أوليات العقيدة وموازينها ، ويرقق قلبه ويميل به إلى السكينة الإيمانية ، ويدربه على التلذذ بالعبادات ، ويقنعه بارتباط تحرير فلسطين بقيام حكم إسلامى فى بلد عربى . أما الإيجابية والذكاء والحيوية والمشاركة السياسية فهى صفات حسنة متوفرة فى الشاب الفلسطينى بمقادير عالية .

هذه أمثلة فحسب ، ومحاولة لوصف الشباب فى بعض الأقطار ، ولا نجزم بصواب ما ذهبنا إليه ، وإنما أردنا أن ننبه إلى وجوب قيام كل قيادة بتحليل شخصية الفرد فى البلد الذى تعمل فيه ، ورصد انعكاسات المجتمع عليه ، وتعيين المعانى التى يركز الداعية على تربية المدعو عليها ، وقد يكون من المستحسن طرح هذا المَبحث خلال مؤتمر خاص .

ومثل هذا المنحى يقودنا بالتالى إلى تقرير وجوب عدم تقليد الأقطار بعضها لبعض فى خطوات العمل الأولى مع المؤيدين ، ولا إنكار بعضها على بعض إذا اختلفت فى فهم الأولويات

التربوية لطبيعة هذه الخلال والصفات المختلفة التى تجعل الأمر نسبياً محضاً .

(القاعدة الثانية) : تزويد الداعية بنشريات المبادأة .

فإن من صعوبات التجميع : عدم استطاعة الداعية إيجاد مدخل للكلام مع جلسائه وأصحابه ، فإنه قد لا يستطيع إدارة دفة الحديث بسرعة لصالح مفاهيم الجماعة ، ويهدر وقتاً طويلاً فى أحاديث عفوية قبل تمكنه من إلجائهم للمشاركة بما كان قد نوى التكلم فيه ، وكثيراً ما تتحكم أخبار الجرائد اليومية فى كلام الجلسات ، أو مشاكل الانتخابات ، وأعمال الأحزاب .

وليس ذلك بصحيح ، فإننا نريد إكساب الذى نتصل به شخصية إسلامية متكاملة تؤمن بالإسلام وبضرورة الانتظام والتحلى بسلوك خلقى عال ، وإذا تركنا الجرائد والأحداث السياسية هى التى تُعَيِّن موضوع الكلام أثناء مجالساتنا لمن ندعوهم فإن ذلك معناه تبذير الأوقات ، بل لا بد من عامل مبادأة يعين الداعية على أن يكون لبقاً ، بحيث يحرف به الكلام بسرعة إلى ما يريد ، ويمكن للنشريات أن تقوم بهذا الدور فى المجلس الذى تعطى فيه نفسه ، أو فى المجالس التى تتلوه .

إن عامل المبادأة ضرورى وأساسى ، وإذا خلت يد الداعية من النشريات التى تجعله سيد الموقف فإن عمله يحتاج إلى وقت مضاعف .

وهذه الحقيقة تجرنا إلى تقرير قاعدة مهمة تجعل مسؤولية العمل مع المدعو مسؤولية جماعية وفردية ، وليست هى خطة الداعية فقط ، فنحن نركز فى الغالب على دور الداعية الفرد فى كسب الشباب إلى صف الدعوة ، وندع الأمر إلى مقدار ذكائه ولباقته وعلمه وتفرسه فى الشباب الذين من حوله ، بينما المسألة أبعد من ذلك ، ولها وجه جماعى أهم يعين الداعية على إتقان دوره .

ويمكن تمثيل الدور الجماعى فى عمليات التبشير بالدعوة بدور الدول فى إسناد سفرائها ، فالسفير لا يعتمد فى مواجهاته للسياسيين على مبادراته وذكائه المجرد ، بل يعتمد على قوة موقف دولته وطبيعة سياستها ، وكلما كانت دولته التى بعثته ذات سياسة قوية ومكانة عسكرية واقتصاد متين : كان السفير واسع الصولة والجولة ، فارضاً نفسَه على المجتمع السياسى الذى بُعث إليه ، ولا يستطيع شيئاً من ذلك إذا كانت دولته ضعيفة ، أو كانت قوية لكنها تمرّ فى مأزق وأزمة وموقف حرج أثناء صراع دولى يجبرها على كتم أنفاسها والسكوت وعدم التهديد والضغط .

إن المشاركة الجماعية فى إسناد الداعية أمرها شبيه تماماً ، فإن كل داعية فى أى مدرسة أو كلية جامعية أو معمل أو إدارة حكومية أو مسجد أو منتدى إنما هو سفير للجماعة فى مكانه ، وقوة مواقف الجماعة هى التى تحركه فى الحقيقة ، ورصيدها الفكرى وإنتاجها الأدبى هو الذى يُكسبه الإتقان فى عمله ، وأدوات المبادأة التى تضعها الجماعة فى يده هى التى تجعل اجتماعاته مع العناصر

المدعوة ناجحة وداخلة فى الجدوى الإيجابية من أول جلسة له معهم ، ولا يحتاج إلى لف ودوران ومسيرة طويلة كى يدخل فى الموضوع .

إن تأليف رسائل قيادية أو بأقلام دعاة محليين لمعالجة المشاكل التى يعيشها كل مجتمع على ضوء الإسلام تعتبر عوامل مبادأة جيدة ، وكذا المنشورات السياسية السريعة القصيرة ، فإنها تراد كعوامل مبادأة أكثر مما تراد لشىء آخر ، إذ أن أذهان الدعاة تتقارب فى الغالب عند تحليل المواقف ، ولكن وجود المنشور فى يد الداعية يجعل أهل مجلسه يتحدثون فى معناه ، ويجعل الداعية فى غنى عن اللباقة المتكلفة المصطنعة لجلب الحاضرين إلى صميم الموضوع ، وعلى ذلك فإنه لا يصح أن نعتمد على مجرد الكتابات الفكرية المطلقة لأعيان الكتاب المسلمين ، بل لا بد من كتابات بأسماء دعاة يعرفهم المجتمع من أهل البلد ، مع معالجة المشاكل المحلية من خلال الفكر الإسلامى المطلق .

لكن عدم وجود هذه النشريات اليوم فى بعض البلاد لا يعنى عيباً فى الجماعة ، إذ قد تكون الدعوة فى هذه البلاد فى دور تأسيس لا يؤهلها لذلك ، ولا تسمح الظروف بنزولها السياسى صراحة ، لما فيه من تعريضها لمتاعب مع الحكومات والأحزاب . كما أن التحليلات السياسية تقتضى أنواعا من الكفاية والقابلية والخلفية الثقافية الواسعة التى ربما لم تنضج بعد فى الحركات الناشئة ، لا لعيب ، بل لقصر عمر الجماعة .

إن للدعـاة فى البـلاد التى لا تستطيع إصـدار نشريات المبـادأة الآن أن يتوقعوا أنواعاً من سهولة الاتصال بالشباب فى المستقبل إذا استطاعت الجماعة أن تشارك فى عملية تسيير التحركات الفردية بالنشر والمواقف والأدوات الجمـاعية دون الاعـتمـاد المجـرد على الذاتية الحركية للداعية ، كمـا أن النجاح الذى يحـصل فى قطاع معين سيكون عـاملاً من عوامل زيادة هيبة الجماعة فى القطاعـات الأخرى ، ويكون الداعيـة أكثر هيبة بدوره ، فيُهـاب ، للهيبة الجماعية ، لا لمجرد علمه وشخصيته فقط .

(القاعدة الثالثة) : مبادرة الداعية للتكلم بما ينـاسـب حاجة المدعو .

وهذه القـاعدة مكملة للقـاعـدتين السـابقـتين ، ونعنى بهـا أن يكون الداعـيـة هو الذى يختـار موضوع الحوار دون إعطاء المجال للمـدعو بـاطراد ليسأل ، إذ أن أسئلة المدعـو لا تسيرها حـاجتـه الحقيقية دائماً ، بل كثيراً ما تكون انعكاساً لإشاعات وشبهات يروجهـا أعداء الدعوة ، ومحصلة لمطالعاته الصحفية وسماعه للحزبيين الآخرين ، وتبقى أجوبتنا عنها غير مقنعة له تماماً ما لم تصحب بتفهيمه موازين شرعية تعينه على ذاتية فى تمييز الحق .

لسنا ننكر أهمية طريقة فتح صدورنا للمدعو ليفرغ أمامنا ما عنده من شبهات فنجيبه بما يرفع عنه الهواجس ، فإن هـذه الطريقة ضرورية ، لكن الإسراف فيها مضر ، لأننا نعمل فى محيط غير سليم ، ويكثر حولنا من يروج الإشاعات والأكاذيب والشبهات الجزاف بالباطل ، وينشر الظنون السيئة ، كما أن المناهج المدرسية

تبث مفاهيم منحرفة ، وفى الصحافة كلام غث يولد اختلاطات ، ولو التـزمنا إزاء ذلك مـوقف المدافع باطراد وأتحنا على طول الخط للمدعو أن يختار موضوع النقاش لبقى محيلاً لحسن ظنه بالدعوة ولقناعـته بأفكارنا إلى حـسن ظنه بأشـخـاصنا ، فى تقليـد بارد وتغليب للروابط الشخصية ، دون اجتهاد واستعلاء وعزة إيمانية وحمية .

لذلك فإن من الواجب أن نقيم توازناً بين ما نعطيه من المعانى بتخطيط ، وبين ما ندع له المجال ليسأل فيه ، فنفرض فى كثير من وقت اللقاء معه الكلام عليه فرضاً ، لا من مقام الأستاذية لتلميذ ، بل باللباقة وجودة التخلص ، بحيث يأتى المبحث طبيعياً ، بما يملك الداعية من فكر متكامل يميزه على المدعو .

وهنا تبدو أهمية تحديد هذه المعانى التى نعرضها على المدعو بمبادرة منا ، إذ ليست كل مفردات الإسلام يفهمها ، ولا هى على درجة واحدة من الأهمية ، وبعضها لو ذكرت فى موطن معين أو وقت معين لأدت إلى نتيجة عكسية ، فنمتنع عن ذكرها سداً للذريعة .

والأسلوب الصحيح فى هذا الموطن أن تضع القيادات الفرعية المفردات والمواضيع ذات الأولوية فى الكلام فى جدول يحصرها ، فكل قيادة تختار ما يناسب طبيعة قطاعها ، فقائمة لما يذكر فى الجـامعـات ، وأخرى لما يذكـر فى المدارس الثانوية ، وأخـرى لما يذكـر فـى مـحيط العـمـال ، وهكذا ، وستكون بعض المواضيع مشتركة حتماً .

إن تجاهل مثل هذه القاعدة هو الذى أدى إلى مجازفات بعض الجماعات الإسلامية التى تثير مواضيع جانبية فى غير أوانها مع جودة علم دعاتها ، فيثيرون الفرعيات قبل الأصول ، لتخلّف أسلوب الدعوة عندهم ، وآخرين يلحون فى حمل المدعو على أفعال لا يستسيغها المدعو فى بلاد العرب ، يقلدون بذلك مناهج عمل تصلح لبلاد أخرى .

إن ذكرنا لهذه القاعدة لا يعنى عدم مراعاة دعاتنا لها سابقا ، كلا ، فإن دولاب العمل اليومى عندنا قد ولّد أعرافاً صحيحة سليمة كثيرة ، تعين الداعية الجديد على فهم الأولويات ، ولكن عليه أن ينتبه إلى أن جودة طريقة العمل العرفية هذه لم تأت كنتيجة سهلة ، وإنما هى حصيلة تجارب متتالية كثف التأكيد القيادى عليها حتى استحالت أعرافاً يدرج عليها الدعاة وإن لم تحفظها نصوص دقيقة أو تبليغات مكتوبة ، ويراد من كل داعية جديد أن يعرف هذه الحقيقة ليواصل التفكير بمثلها ولينتج خيراً جديداً ، وليورثها لمن بعده .

فيجدر إذن بكل داعية أن يفطن إلى أنه اليوم بعمله يسهم فى تأسيس أعراف ، شاء أم أبى ، فإنْ أحسن الطريقةَ وَعَرَفَ الأولويات : أنشأ عرفاً حسناً ، وإن خلط : أورث الغلط .

ويبدو أنه من الأفضل أن يعقد كل قطاع ندوات جماعية أشبه بمؤتمرات للتعرف على الرصيد العرفى من العمل الجيد السابق فى هذا الجانب ، ثم اكتشاف الإضافة المطلوبة وكيفية تتميمها .

إن الدعوة إلى تقديم ذكر جزئيات الإسلام المهمة على غيرها بنظرة نسبية فى كل قطاع ولكل جمهرة ليس بالأمر المبتدع ، فإن لنا موعظة فى تدرج نزول القرآن ، وقد قسم الشرع الأعمال إلى درجات ، فمنها فرائض وواجبات ، ومنها مندوبات ومباحات ، تتنازل فى أهميتها ، وهناك لمم وفسوق وبدع وكبائر وكفر ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب بأجوبة مختلفة عن السؤال الواحد تبعاً للنقص الذى يراه فى كل سائل ولمدى حاجته ، فوصف الجهاد بأنه أفضل العمل مرة ، ووصف بر الوالدين بالأفضلية فى مرة أخرى ، حتى ليحسب المتسرع ذلك تناقضاً ، وما هو كذلك ، بل يجيب بما يناسب حاجة السائل .

(القاعدة الرابعة) : تكثيف ذكر المبررات الواقعية لوجوب العمل الجماعى .

فالملاحظ أن أكثر الدعاة يركزون على ذكر الأدلة الشرعية لوجوب العمل الجماعى دون تحليل طبائع الصراع السياسى الحالى ودور العوامل التنظيمية فى إنجاح مساعى أعداء الإسلام ، وهذا نقص يقلل قناعة المدعو ويفتِّر جانب التحدى فيه .

ولا نشك فى أهمية ذكر الأدلة الشرعية ، لتعين على تأسيس النية التعبدية العقائدية للممارسة الجماعية فى نفس المدعو ، لكن العنصر الجديد لا يفقه فى كثير من الأحيان هذه المعانى الشرعية ، ولا يقوم فى قلبه تبجيلها كما يبجلها القديم المتوغل ، بينما تفرض المبررات الواقعية نفسها عليه بقوة .

إن على الداعية أن يثير انتباه المدعو إلى طبيعة الصراع الدائر بين الخير والشر ، والإسلام وأعدائه ، وكيف أن هذا الشر لا يعمل فردياً وإنما بانتماء حزبى وحكومى ، ويدخل الداعية فى جولة طويلة من ذكر معالم التاريخ السياسى الحديث والقوى المتواجدة فى الساحة ، ليخلص إلى ضرورة مقابلة ذلك بعمل جماعى إسلامى مكافئ يوازى قوة الهدم .

إن المدعو قد لا ينتبه ذاتياً إلى حقائق الحياة السياسية والفكرية، ويكون بحاجة ماسة إلى أن ننبهه ، فكثير من الجامعيين مثلاً لا يفطنون إلى التنسيق الكامن خلف كلام الأساتذة اليساريين فى الجامعة ، ويظنون أنهم يتكلمون كأفراد باجتهاداتهم الخاصة ، أو يظن آخرون أن الصحافة تتكلم وفق طبائع المحررين ، ولا يفطن إلى دور السياسة الدولية والاستخبارات والحكومات والأحزاب فى توجيهها وشراء ذمم أصحابها .

إن إعانة الشاب على أن يمسك بيده هذه الحجج والحقائق وجعله يتلمسها قد يفيده أكثر من البراهين الدالة على الندب الشرعى للعمل الجماعى ، وكأننا بحاجة إلى كتاب خاص يستطرد فى شرح ظاهرة الجماعية فى التاريخ السياسى والواقع الحالى ، ليكون عوناً على تفهيم المدعو ، مثلما هو عون للمدعو على ممارسة التفكير التحليلى المتأنى إذا كانت له خلوات مع هذا الكتاب .

(القاعدة الخامسة) : الأخذ من كل مدعو حسب طاقته ، والعطاء له حسب حاجته .

وهذا التعبير الاشتراكى هو الأوفى لإيجاز هذه الطريقة التربوية ، وهم يذكرونها فى استيفاء طاقة العمل المهنى والتعويض عنها بما يكفى حاجات المعيشة ، وإنما استعرناها استعارة مجازية .

فنحن نستطيع التعامل مع المدعوين وفق هذه القاعدة ، وأن نطبق النسبية فى الإعطاء لهم والأخذ منهم .

فالذين ندعوهم هم عناصر متباينة فى أمزجتها وأخلاقها وخلفياتها الفكرية ، ويندر أن نجد المجموعة الكبيرة المتشابهة ، بل لكل منهم أو لكل اثنين أو ثلاثة طبائع خاصة أو متقاربة .

فأول معاملتنا لهم : أن نستفيد من كل مدعو حسب طاقته ونوعها ، ولا يجوز أن ننظر إلى الحماسة وقابلية الانتظام والطاعة كشروط أساسية فيه ، فإن هناك من هو أقل مشاركة من الآخرين ، ولكن الداعية الذى يتصل به يدرك بحاسة سادسة ، أن هذا العنصر ستكون له أهمية استثنائية فى المستقبل ، لعلم سياسى جيد ، أو لكتابة صحفية ، أو لنيته الدراسة العالية ونيل الدكتوراه واقتداره على ذلك وعودته أستاذاً فى الجامعة أو خبيراً فى أجهزة الحكومة ، أو لكونه ابن شخصية كبيرة فى المجتمع والدولة ، وأنه سيفيد الدعوة من خلال مركز أبيه ، أو لثروة سيرثها ويجعل منها للدعوة نصيباً ، وأمثال ذلك .

إن انتهاء الاتصال إلى جلوس المدعو أمامك عضواً فى التنظيم هى الصورة المثلى للنجاح ، ولكن دونها درجات من النجاح أيضاً

وقد لا يكون المدعو صالحاً للإنتظام ، لكن حسن التعامل معه ودوام الصلة به تمكننا من تحصيل فوائد جانبية منه ، وربما كانت هذه الفوائد ضخمة وتعدل عمل عشرات المنتظمين .

ثم لكل حسب حاجته ، فإن نقصهم متعدد الأشكال ، بحسب ما خضعوا له من تربية سبقت صلتهم بنا ، والفروق بين المدعوين واضحة .

من ذلك أن تجد شاباً جامعيا كان بعض أساتذته فى المدرسة الثانوية من دعاة الإسلام أو أهل الستر ، فنشأ صافياً ، وآخر كان بعض أساتذته ملاحدة فلقنوه الشبهات الكثيرة التى شابت معدنه الحسن .

وشاب يصلى قد رباه أبواه على أخلاق فاضلة ، فسكنت نفسه ، وآخر لم يعرف الصلاة ، سليل أبوين غافلين ، ولكن التحديات السياسية والعاطفة الإسلامية العامة تدفعه إلى التقرب منا .

وشاب بين أبويه خلاف ، وراسب فى دراسته ، فهو معقد .

وصاحب غريزة جنسية قوية ، يعيش فى قلق واضطراب نفسى بسببها .

وعصامى ، جمع أيام صباه بين الدراسة ومعاونة صاحب صنعة من أجل العيش ، فهو هُمام متحرك ، على النقيض ممن ينعم برفاهية ، قد دلّلَه أبواه ولا يُعلم أنهما ردا له طلبا .

فحاجة كل واحد من هؤلاء تختلف عن حاجة الآخر ، ونعاملهم بمعاملة متعددة الوجوه .

وقد نلحظ بعض الدعاة يجهلون احتمال استمرار بعض صفات المراهقة لدى الطالب الجامعى الذى يدعونه ، ويُحلونه فى محل أكبر مما يحتمله واقعه الحقيقى ، وذلك خطأ ، فإن بعض طلبة الجامعات نجد عندهم ما نجد من تعنّت طالب المرحلة الثانوية ، وتفرّده بالرأى ، وحب الاستقلال ، وانتقاض رأيه بين آونة وأخرى ، والتفلت من الأوامر ، وعلينا مراعاته ، وأول هذه المراعاة : أن نجعل هذه الطباع متوقعة منه غير مستغربة ، وأن نعتبرها نتيجة ظاهرة نفسية عند عموم الشباب لا تستحق أن نصف صاحبها بعدم الصلاحية من أجلها ، ونترقب اليوم الذى يكتمل فيه رشده .

كما أن الجامعى قد يتأثر بالنظرة العرفية القديمة التى تضع الجامعيين فى مكانة عالية ، فينظر إلى نفسه على أنه مشارك فى الأفكار والسياسة ، ويحس بأنه أرقى من بقية الناس ، ويأخذه كبر وغرور ، خاصة فى البلاد الفقيرة التى لا يزال التعليم الجامعى فيها ضيقاً ، وفى هذه الحالة علينا أن نوسع صدرنا قليلاً ، وننتظر رجوعه إلى التواضع ، فإن ذلك من الآثار الوقتية الطارئة لهزات المراهقة فيه أكثر مما هو من العيوب الأصيلة الدائمة .

(القاعدة السادسة) : إرجاء معركة المدعو مع أهله .

ذلك أن بعض العناصر المدعوة يكون عندها مقدار زائد من الحماسة يشجعهم على قطف الثمار بسرعة ، فيسرعون الإنكار على أب مقترض بربا أو شارب للخمر ، ويأمرون نساء بيوتهم بالحجاب ، ويلزمونهن ترك المعاصى التى درجن عليها

واستسهلنها ، فيكون الرفض ، وتستعر معركة مبكرة متعبة مع الأهل تفقدهم السكينة اللازمة لمرحلة التربية الابتدائية ، مع أنها قد تكسبهم الصلابة والعزم .

يجب أن يفهم الشاب بأننا ندرك عدم مسؤوليته عن أمه وأخواته بوجود أبيه ، وأن معاصيهن لا تعيبه عندنا ولا تثلم مكانته ، مثلما نفهمه أنهن ضحية تربية اجتماعية خاطئة وأعراف منحرفة أكثر من كونهن رافضات بتصميم ، وأن علاقته بأمه السافرة لا تقتضي أن يقف موقف سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مع أمه ، إذ لا كُفْرَ ثَمَّ ، وإنما هي الغفلة ومواطأة الناس ، أو أنها تمنعه عن نشاط وانتماء جماعي وليست تزيّن له التحول عن التوحيد .

وهناك احتمال فهم المدعو للأوامر الشرعية بشيء من التطرف ، فيأمرهم بأوامر زائدة عن الحد الشرعي المطلوب ، متزمتاً ، دون أن يفقه الموازنة بين المصالح ، والتدرج ، وأساليب الحكمة والموعظة الحسنة ، فهو لا يتسامح ، ولا يؤجل ، ولا يقبل عذراً ، ويقطع الجسور مع أهله بسرعة ، ويقع في مأزق يسبب له القلق ، وعلينا أن نعظه في هذه الأحوال ، ونرده إلى الاعتدال ، فإن أهله لا يدرون أسباب تحوله الحركي ، ولا يفقهون معاني الانتماء الفكري الجديد الذي انتسب له ، وإنما يظنونه في فورة ، وفي مرحلة من اضطراب المراهقة ، ولا يلحظون صفته كمصلح آمر بالمعروف ، ومن هنا فإن ترفقه معهم قد يتيح لهم تصحيح مفهومهم عنه ، فتكون الاستجابة الهادئة التي لا يقف دونها العناد .

لسنا نجنح بذلك إلى لين وترخّص يأباهما ويمنع عنهما الورع، ولكننا نحث على اتباع أسلوب مناسب ، وتأجيل معركة ينهزم فيها الشاب المسلم الجديد إذا دخلها فى وقت مبكر .

(القاعدة السابعة) : الحرص على تعادل أوقات النشاط العام مع اللبث فى المساجد .

وفحوى هذه القاعدة : تحبيب أجواء المسجد للمدعو ، فإن بعض قطاعات الدعوة تشهد إسرافاً فى الفعاليات الرياضية الجماعية وأوجه النشاط العامة ، ولا بد من إقامة توازن فى تردد المدعو على المسجد وعلى هذه الفعاليات ، لما تتيحه خلوة المسجد من مجال التفكر وتلاوة القرآن . وسبب ذلك أن مجتمع اليوم هائج مضطرب مائج ، وهذا الاضطراب قد أصاب الشباب بذهول صرفهم عن التفكر حتى فى بديهيات الحياة ، فكثرة مشاركتهم فى الفعاليات معنا قد تولد فيهم ولاء لنا وتحزباً ، وانخلاعاً عن اللهو ، وتربيهم على محبة المؤمنين ، ولكن أحدهم قد يبقى غير ملتفت للتفكر ، ولا للإنصات إلى نداء فطرته ، فنكون قد أخرجناه من اضطراب اجتماعى شديد إلى وضع أحسن ، فيه الطمأنينة ، ولكنها تقليدية ليست ذات انبعاث ذاتى ، كمن يخضع لعلاج طبيب دونما وعى صحى منه ، وإذا طالت مدته على هذا النحو : استحال إلى عنصر فاقد للمقدرة على تسيير نفسه ، ويحتاج تحريكاً تربوياً دائماً ، حتى يشيب على ذلك ، مقلداً ، مفتقداً التفكير القيادى الذاتى .

إننا بحاجة إلى استغلال كل الطاقة الإسلامية المتواجدة فى المجتمع ، وهى طاقة واسعة يستحيل تنظيمها كلها ، ولكن يمكن أن نقودها ، فإذا نشأ عضو التنظيم نشأة تقليدية لا تمكنه من قيادة غيره فإن بعض هذه الطاقة سيهدر ونحرم منه .

إن ما تسببه كثافة مشاركة المدعو فى أوجه النشاط معنا من وَلاء لنا يشكل مصلحة دون شك ، ولكن حيازة الفكر القيادى يشكلّ مصلحة مستقبلية تساويها ، ولا بد من رعاية المصلحتين معاً .

علينا أن ندعه يخلو فى المسجد مع فطرته ، ليكتشف خطأ تصرفاته السابقة وخطأ أفكاره ، وما مَنّ الله عليه من الهداية .

لا نقول له : تعال وفكر ، هكذا فى عملية ميكانيكية جافة ، ولكن التفكير والتأمل وتوارد الخواطر الرحمانية والنظر إلى يوميات الحياة بعين البصيرة سيكون نتيجة طبيعية لخلوته مع نفسه وبعده عن الاضطراب ، ولو كانت الخلوة فى غير المسجد آمنة لأقررناها ، ولكن شاء الله أن يجعل البركة فى بيوته ، ويخصها بخصائص تنفرد بها .

بإمكاننا أن نعلمه هذه الخلوة لساعة أو لبضع ساعات متفرقة خلال اليوم ، تقل وتزيد ، ونختار لها الأوقات التى لا تتعارض مع النشاط العام ، لا بطلب وأوامر ، بل بتشويق عملى من خلال صحبتنا له قبل أداء الفروض وبعدها ، وتلاوة القرآن أمامه . وكأننا اليوم لا نتقن ذلك ، ونرجح اللقاء الجماعى معه فى الأندية

والملاعب ومجالس النقاش ، وليس في هذا الترجيح عيب ، ولكن اعتماد أسلوبنا عليه فقط هو المعيب ، حتى بتنا لا ندخل المسجد إلا قُبيل الإقامة ، ونسرع الخروج منه بُعيد السلام .

كلا ، بل علينا أن نوازن ولا نجعل اللبث في المساجد ضامراً ، فإن خريج المسجد غالباً ما يكون عاقلاً رزناً متروياً ، ذائقاً لثمرات الإيمان ، ذاتي الاندفاع ، ليس بالمطيع فقط ، ولكنه المبتكر ، ولا السائر بحركة مسيرة أصحابه فحسب ، ولكنه المتقدم الحادي .

كأننا أيها الإخوة نلمس تكبراً على المسجد عند بعض جدد المصلين المثقفين والجامعيين ، يدخلونه وقت الفرض فقط ، ويأنسون بالمجالس خارجه . وربما كانت هذه الظاهرة ناتجة عن الدعاية العرفية التي تُعلي مكانة الجامعة في تطوير المجتمع ، فتأخذ طالبها وخريجها نشوة جاهلية تختلط بصلاته ، ومن اللائق أن نرده إلى قيمته الحقيقية ، وأن ندله على طريق البداية الإيمانية الذي لا بد وأن يمر بالمسجد طويلاً .

إن العيش في المجتمع العام ، والتفاعل مع أحداثه ، قد يستهلكان المخزون الإيماني الذي يملكه المدعو ، فيقف عطاؤه عند حد ويفلس ، وعلاج ذلك : أن نجعل له مورداً دائماً تتكفل به حياة المسجد ، وما فيها من سكون وصفاء نفس ، ورحمة متنزلة وإلهام .

وقد يعترض البعض على جلب المدعو إلى المسجد واستلاله من مشاركاته في حيثيات الحياة السياسية اليومية للجامعة وقطاعات

العمل ، ويحتج المعترض بأن مشاركة المدعو فى الأحداث إنما تنطلق من واقع وتماس طبيعى ، وما هى بالمتكلفة .

وما نظن هذه الحجة واردة ، فإن نقدنا مُنصَبٌّ على حقيقتها ، إذ أن الأعمال اليومية التى ينشغل المدعو بها ، كالانتخابات الطلابية والرحلات وأمثالها ، إنما هى وسيلة لا غاية ، ولا يرتقى فهم المدعو لطبيعتها إلى درجة فهمنا ، وقد ينغمس فيها انغماساً كاملاً لا يبقى له وقتاً لتربية نفسه على معانى الإيمان فيتربى سياسياً وعملياً دون أن يكافئ ذلك جانب من العلم الفقهى ، والرسوخ الخلقى ، والتطوع العبادى ، وهذه الحالة تتيح لك الانتفاع منه وقتياً وتعدم عليك الانتفاع منه فى المستقبل ، إذ سينشأ جافاً ، تعوزه رقة القلب ، وفى هذا ما يسوغ لك أن تضحى ببعض مصالح الجماعة فى النشاط العام والتنافس مع الأحزاب من أجل درء هذه السلبيات التربوية .

(القاعدة الثامنة) : تخفيف رغبة المدعو فى الاستكثار من الكتب الإسلامية .

فبعض الدعاة ما إن يلمسوا استجابة أولية من المدعو إلاّ ويستغلونها فى أخذه إلى مكتبة تبيع الكتب الإسلامية ، ويشجعونه على كثرة الشراء ، فيكتال جزافاً بمقدار سعته المالية ، ويحوز الكثير مما لا يناسب مرحلته الأولية ، ويجد نفسه أمام أنواعٍ من إغراء العناوين والأغلفة وأسماء المؤلفين ، حتى يحار فىَ تلمّس طريق البداية ومعرفة الراجح والمهَم ، وينتهى بأشتات من

جزئيات العلم لا يجمعها تجانس ، وربما كان فى بعضها من تضاد الاجتهاد ما يزيد حيرته .

وسبب ذلك كامن فى سعة المكتبة الإسلامية ، إذ يمدها أضخم إنتاج فكرى ، تراثٌ ومُحْدَث ، وزادت الرغبة التجارية كمية ما يطرحه الناشرون لما عرفوا حقيقة الطلب المتنامى للكتاب الإسلامى ، وحال كهذه يصبح فيها من الخطأ أن ندع المدعو أمامها وجهاً لوجه تثير فضوله ونهمه ، بل الأحرى أن نتأنى فى اصطحابه إلى المكتبات ، ونعوّضه ببرنامج متدرج للمطالعة نذكر له فيه من الكتب والرسائل الصغيرة ما هو ضرورى له ، وأليق بمستواه ، مع شرح نعلمه فيه سبب هذه الاختيارات . وهذه بديهية من بديهيات التعليم والتربية بدأ الدعاة ينسونها بسبب فورة النشر الكثيف ، ولها من التأثير السلبى فى الخاصة ما لتأثير التلفزيون فى العامة من إلهائه عن المطالعة المنهجية .

(القاعدة التاسعة) : حمل المدعو على التأنى فى أداء دوره كداعية .

فى شبه منعٍ أو حجْر عليه ، لأشهر بعد بداية مرافقته لنا ، أو لسنة ، فإن الحماسة قد تستبد ببعض المدعوين ، فينزلون إلى الميدان ، ويمارسون التبشير ودعوة الآخرين ومجادلة المخالفين وهم ما زالوا جدداً ، عراة عن الخبرة وعن وعى مثل هذه القواعد فى فنون التجميع ، فيقعون فى الخطأ ، ويحيص الذى يدعونه وكانوا يأملون فيه الخير حيصة يتفلّت معها ، فتفشل تجربتهم ،

فتهزهم الصدمة ، ويفتأون فى يأس من الشباب لا يتشجعون معه على استئناف التجربة .

كلا ، بل الصواب أن يعتكف المدعو معنا أشهراً متعلماً متلقياً، يخفى إيمانه ، ويحبس طاقته ، ويكل إلى مربيه أمر توقيت أوان الأذان له بالصدع له بالصدع والأمر والنهى متى ما آنس منه المقدرة ، خوفاً من أن يقع فى خطأ عند الاختيار ، أو أن يحار جواباً إذا اعترضه المقابل بشبهات .

كطالب الطب ، قد يتعلم التطبيب قبل تخرجه ، لكنه ممنوع عن مباشرة التشخيص ووصف الدواء . حذراً أن يقع فى خطأ ، ليس فقط يميت به المريض ، بل يجفله هو إذا تخرج عن معاودة التشخيص أيضاً .

وكطالب الهندسة ، ممنوع هو عن تصميم عمارة ، لا حفاظاً على أموال الناس فحسب ، بل لأنه سيصير - إذا انهارت - تقليدياً محضاً فى تصميماته الأخرى ، ليضمن السلامة ، جباناً عن الإبداع ، أشبه بعامل ذكى غير مهندس يتيح له طول تنفيذه لخوارط المهندسين أن يحاكيها .

فكذلك المدعو الذى يصاحبنا : نمنعه لنحفظ له روحه الوثّابة وثقته بنفسه ، ولنبعد عنه اليأس .

لا تستغرب ذلك ، فإن الدعاة يحفظون قصصاً تصدق هذا التوقع ، بل شهدت أوائل الستينات يأس رئيس جمعية إسلامية

كان يعتنى بتجميع الشباب بشرط متساهل ويتركونه بعد حين ، فدعا إلى التجرد للعبادة انتظاراً للساعة التى رأى بعض علاماتها ، حتى جزم أنه فى آخر الزمان ، وردّ الدعاةُ عليه فهمَه السلبى ، فى قصة مشهورة بلبنان .

إلا أن صرف المدعو عن مباشرة التبشير لا يمنع أن نجعله جسراً إلى بعض أقاربه وجيرانه وأبناء مدرسته ، فنطلب منه أن يقيم معهم علاقة متينة ثم يعرفنا بهم ويحملهم على الوثوق بنا لنتولى نحن التحدث لهم وتربيتهم لا هو .

إن تواجد بعض الضعفاء السلبيين فى صفوفنا إنما جاء نتيجة لاختيار خاطئ متكرر مارسه الجدد ، وكانت الجماعة تضطر لإدامة الصلة بمن اختاروه حتى باتوا عبئاً على المربين .

(القاعدة العاشرة) : إحصاء بقية الخير فى المجتمع من خلال خلوات استفزاز الذاكرة .

فإن العناصر الصالحة فى المجتمع كثيرة ، ولكننا ننسى أسماءها وصورها ، للذى نحن فيه من زحمة الأحداث ، والمظنون أن الإحصاء الدقيق لها وتسجيلها فى قوائم يضمن نوعاً من الصلة بها تساعد على الاستفادة منها وحشد طاقاتها لتنفيذ أهدافنا ، ولا يجوز الاعتماد المجرد على من نراهم حولنا فقط ، أو من تأتى بهم الصدف إلينا .

والطريق إلى ذلك قد يبدو فيه بعض التكلف لأول وهلة ، لكنه مجرب بنجاح ، أو هو من التكلف الذى لا يضر .

وبدايته أن يقوم الدعاة فى كل منطقة ، فى يوم واحد أو أيام متقاربة بالخلوة الفردية التى لا يخرج فيها أحدهم إلا إلى أداء الفروض ، ويحبس نفسه فى مكان منعزل هادئ ساكن ساعات طويلة يحاول فيها أن ينتزع ذهنه من الشواغل اليومية ، ويفرغه للتذكر والإجابة عن مائة سؤال .

يسأل نفسه أولاً عما إذا كان أحد من أبناء أعمامه وأخواله وأهله وأنسبائه يصلح لأن تتجه له جهوده لتقريبه من مفاهيم الدعوة وضمه إلى الجماعة ، ويغمض عينه ويستعرضهم فرداً فرداً مدة ربع ساعة ، فسينتهى إلى تسجيل ثلاثة أسماء منهم مثلا ، هم طليعة قائمته .

ثم يعيش ربع ساعة أخرى مستعرضاً أفراد عشيرته ، ثم ربعاً آخر لجيرانه ، فيستخرج أربعة أسماء تضاف للأولى .

ثم يحاول أن يسترجع ذاكرته عن أصدقاء طفولته الذين ربما ابتعد بعضهم عنه ، ويمر بخاطره سريعاً على زملائه فى المدرسة الثانوية ، فيعود من جولته الذهنية هذه بثلاثه أسماء أخرى .

ثم يخصص خمس دقائق لتذكر الذين هم على هذه الصفة ممن هم فى منطقة سكنية واحدة من بلدته ، وينتقل إلى منطقة أخرى وثالثة ورابعة ، حتى يستوفى استعراضها كلها ، وقد تصل إلى

عشرين أو ثلاثين منطقة ، فيكون قد مسح مدينته التى يقيم بها مسحاً شاملاً ، ومرَّ بذهنه عليها شارعاً شارعاً ، ليعود بعشرة أسماء جاهزة لأن تنجدنا فى صراعنا إذا تمت تربيتها .

وينتقل إلى استعراض مدن قطره على نفس الطريقة ليعود بثلاثة أسماء أخرى ، ويعرج على عمال كل مصنع كبير أو نقابة ، ويجرد عمال الموانئ وسكك الحديد والمصالح الكبيرة .

ثم يسأل نفسه عمن يعرفهم من طلاب كليات الجامعة ، ويخصص ربع ساعة لتذكر أصحابه فى كل كلية ، حتى يجرد الجامعة أو الجامعات التى فى بلده جرداً ، ثم يجرد المدارس الثانوية ، وطلاب البعثات الذين رحلوا للدراسة فى الخارج ، ليكتشف عشرة أسماء تغرى بصحبتها .

ثم يجعل له التفافاً يتذكر به معارفه الصالحين ، أو آباء معارفه من موظفى كل وزارة وديوان حكومى ، ويمنح ربع ساعة لكل منها ، ليعود بسبعة ، يتضاعفون إن جرد معارفه من أهل الخير فى الجيش والشرطة .

ثم يسأل نفسه عن المعادن الطيبة من أهل كل صنف ومهنة ، فيستعرض الأطباء ، والمهندسين ، والمحامين ، والتجار ، والفنانين ، وغيرهم ، وربما راجع من أجل ذلك القوائم التى تحصى أسماءهم والتى تصدرها نقاباتهم المهنية وجمعياتهم ، ثم يتصفح دليل الهاتف ، ليكتشف أسماء أخرى .

وهكذا سيقفل آيباً تائباً حامداً شاكراً بعد عشرين ساعة من الخلوة التى استفز فيها بواطن ذاكرته وقديم خواطره ومعه قائمة قد سجل فيها ستين شخصا أو يزيد ، وقد كانت الأسئلة ومجالات التفكير متعددة متكررة ليتذكر البعض بصفة ثانية أو ثالثة لهم إن نسيهم بصفتهم الأولى ، فقد ينسى واحداً من سكان منطقة معينة إذا استعرضها بذهنه ، لكنه يعود ليكتشفه عند استعراضه طلاب كلية الطب مثلا إن كان من طلابها .

ماذا سيفعل بهذه القائمة الواسعة ؟

يبقيها عنده للتدقيق والمراجعة أسبوعاً ، وسيكتشف أنه قد تسرع فى ذكر عشرة منهم ، فيحذفهم ، ثم يحذف عشرة آخرين من بعد ما ييأس من معرفة عناوينهم أو إيجاد طريقة للاتصال بهم، فتتقلص القائمة إلى أربعين .

يعود فيوزع هؤلاء إلى ثلاث طبقات :

خمسة عشر منهم هم أجود معارفه ، فيضع خطة لإحياء اتصاله بهم ، ويشرع فى زيارتهم فى الأفراح والأعياد ، ومواساتهم عند الأحزان ، ويلتزم بإيصال نشريات الجماعة لهم ، وتنبيههم إلى مواعيد المحاضرات ، ويدعوهم لولائمه ، ويجعل أكثر اهتمامه منصباً عليهم بصورة عامة .

ثم عشرة طبقة متوسطة ، يحرص عليهم بمقدار أقل ، أو هم فى مدن أخرى أو طلاب بعثات ، فيكون اتصاله بهم بالمراسلة .

ثم خمسة عشر ضعاف ، لا ينقطع عنهم ، وينتظر منهم أن يعينوا الدعوة بأبنائهم إن كبروا ، أو بأموالهم إن أيسروا ، أو على الأقل يحفظهم كأصوات انتخابية مضمونة ، أو يجعلهم جسراً يعبر عليه إلى معارفهم .

وبعرض خلاصة القائمة على رؤساء التنظيم ، وبالمباشرة الفعلية لخطته فى الاتصال سيكتشف أن بعضاً منهم يتصل بهم غيره من الدعاة ، وأنهم أولى بهم وأقدر على جلبهم ، فيتركهم بالاتفاق مع هؤلاء الدعاة . ثم سيخذله البعض ممن سيتصل بهم ويجد الأيام قد بدلت معرفته القديمة بهم ، فيشطبهم ، وهكذا تتقلص قائمته ثانية إلى خمسة وعشرين فقط أو أقل .

إن أعضاء التنظيم لو التزموا بمثل هذه الخلوات ، فى عملية جماعية يشرف عليها المسؤولون ، لاستطعنا اكتشاف أكثر عناصر الخير فى المجتمع واستقطبناها ، ولتضاعف عدد أنصارنا ومحبينا أكثر من عشرة أضعاف تفتح لنا باب الثقة والأمل واسعاً ، أما الاعتماد على الذاكرة المشغولة فإنه يفوت علينا عدداً كبيراً نتركهم بلا اتصال ، فتكون الأحزاب الأخرى أسبق لهم منا .

وما لم تكن هناك مخاطر وحكومة إرهابية فإن من الأفضل أن تنظم هذه العملية بسجل مركزى فى كل مدينة يؤتمن عليه أحد ثقات الدعوة ، أو يتم تجزىء ذكر أخيار كل مدينة كبيرة إلى عدد من السجلات ، بحيث تدون جميع القوائم والعناوين وخلاصات الأحوال والنتائج فى هذا السجل ، لكل اسم كارت خاص ،

ليكتشف التكرار ، ولتتسير للمسؤولين محاسبة الدعاة على ما التزموا به ، وليكون الإحصاء مؤشراً من المؤشرات التى تعين القيادة على تحديد بعض الخطوات التخطيطية ، ولربما تمت الاستعانة بكمبيوتر صغير لا يتجاوز ثمنه فى أوروبا اليوم ثمن سيارة صغيرة .

❑ هو الله الهادى

أما بعد :

فما هذه إلا قواعد عامة فى فنون التجميع والتربية اللازمة للمدعو فى الأيام الأولى من سيره معنا ، وأما ترجمة هذه القواعد إلى طريقة تعامل بالنسبة إلى كل عنصر فهى من اختصاص الدعاة، يتفرسون فى المدعو ، ثم يضعون خطة إقناعه وتربيته .

وإنما تؤخذ بالحسنى والفهم الوسط ، لا بتطرف ، فإذا تعارضت قاعدتان : كان الترجيح بينهما بمقتضى العقل ، ورؤية ما هو أصلح له ، ولكن الغالب أن يكون المدعو محتاجاً إلى أن نعامله وفق جميع هذه القواعد أو أكثرها فى آن واحد .

إن عمليات التجميع التى تلتزم هذه القواعد وفقه الاصطفاء لهى عمليات مباركة وفيرة الإنتاج بإذن الله .

وذلك مقدار ما يجب علينا من اتخاذ الأسباب ، وأما الهداية فمن الله ، وعليه التكلان ، ويجدر بنا أن نتوقع تساقط البعض أثناء المسير ، لئلا نيأس إذا حصل هذا التساقط ونجفل ونصدم ،

وعلى الداعية أن لا يلوم نفسه إن رأى رجوع مدعو على عقبيه وهربه بعد التعب معه ، فإن من الناس من حكم الله عليه بالضلالة ، لذنب اقترفه أو لأمر آخر نجهل حكمة الله فيه ، ولئن رجع المدعو ناكصاً فإن داعيته يرجع بالأجر مليئاً .

فاغرس غرسك أيها الموفق ، واغرس ، تجد لثمره إذا أينع لذة ليست مثل معشارها لذة الأموال والترف ، على أنك لست المؤلِّف ، ولكن الله ألَّف بينهم .

